القيـــم الانسانيـــة في شعـــر الخـــوارج

الدكتورة امـــل طاهر نصير
كلية الآداب ـ جامعة اليرموك
أربـــد ـ الاردن

الملخـــص :

تناولت في هذه الدراسة معنى كلمة (القيمة) لغة واصطلاحا ، ثم عرضت لمفهومها عند بعض علماء الاجتماع ، وكذلك عند بعض الفلاسفة القـــدماء والمحدثين ، وبعدها استعرضت شعر الخوارج وخلصت الى ان اهم القيـــم الانسانية التي برزت في شعرهم كانت : الثبات على المبدأ ، والبطولة والصبر والتقوى والتعاون والزهد والوفاء والانصاف ، ولا شك في أن بعض هـــذه القيم كانت مستمدة من الدين الاسلامي ، فهناك علاقة واضحة بين الديـــن والقيم اذ ان للقيم الدينية تأثيرا عظيما على أنساق القيم الاخرى ، وبعضهـــا الاخر ورثها الخارجي عن آبائه خاصة في المجتمعات البدوية ، فكانت امتدادا للقيم العربية الاصيلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد كان الخوارج يتمتعون بشجاعة فائقة لعلها كانت نابعة من عـــدم اكتراثهم بالموت ، ونبذ الدنيا والزهد فيها ، فالخارجي يؤمن بحتمية الموت ، وبالتالي ان كان لابد منه ، وبما انه ليس بضامن لحيـــاته الدنيويـــة لا في ديمومتها ولا في نوعيتها ، فقد سعى لضمان الحياة الآخرة بديمومتها ونوعيتها .

ان من يراقب رغبة الخوارج واصرارهم على الحرب والموت وصبرهم على ذلك لابد أن يدرك ان وراء ذلك قيما دينية تعمقت نفوسهم ، وظهرت في أشعارهم وأفعالهم ، ولعل هذا يؤكد ان الدين كان مصدرا لكثير من القيـــم الانسانية عند الخوارج ، أو في الاقل يمكن القول ان نسق القيـــم عندهم في كثير من الاحيان كان مؤسسا على الدين .

القيمة من الناحية اللغوية :الاستقامة • والقيمة : واحدة القيم ، وأصله الواو ، لانه يقوم مقام الشيء • والقيمة : ثمن الشيء بالتقويم ، وأمر قيّم : مستقيم ، وخلقك قيم ؛ أي مستقيم حسن • قال تعالى : « فيها كتب قيّمة »[1] ؛ أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان[2]. وفي المعجم الوسيط قيمة الشيء : قدره ، وقيمة المتاع : ثمنه • ويقال: ما لفلان قيمة : أي ما له ثبات ودوام على الامر • وأمر قيّم : مستقيم وكتاب قيم: ذو قيمة[3] •

أما علم القيم أو فلسفة القيم «أكسيولوجيا» (Axiologie) فأصله الاغريقي يدل على ما هو ثمين أو جدير بالثقة[4] • وأما الاصل اللاتيني للفعل الذي يدل على معنى القيمة وهو (valeur)، فانه يعني «انني قوي ، وأنني أرفل بصحة جيدة ، ثم أصبح هذا المعنى يشير الى فكرة أن يكون الانسان بالفعل ناجحا أو متكيفا ، وما زالت كلمة قيمة في عدد من اللغات الاوروبية تحتفظ بشيء من رواسب معناها اللاتيني[5] •

هذا يعني أن كلمة قيمة مستخدمة ومعروفة منذ القديم خاصة في مجال البيع والشراء ، وكذلك في مجال الاخلاق ،وقد استخدم الناس أشياء مرادفة لها كالعرف والعادات والطرائق الاجتماعية •

والقيمة كمصطلح له معنى فني خاص حديث العهد ، وعمره لا يتجاوز الخمسين سنة في الفكر الغربي ، اذ ان فلسفة القيم من انتاج علوم العصر

---

(١) القرآن الكريم (سورة البينة) آية رقم (٣) .

(٢) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، د.ت ، مادة (قوم) .

(٣) أنيس (ابراهيم أنيس) وزملائه ، المعجم الوسيط ، دار الفكر ، مصر د.ت ، مادة (قوم) .

(٤) العوا (عادل العوا) ، العمدة في فلسفة القيم ، دار طلاس للدراسات والترجمة والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٦ . انظر ص ٤٣ وما بعدها.

(٥) المصدر السابق ، ٢٧٠ .

الحديثة ، وكان أول من تكلم في موضوع الخير والحسن والشر بأن أطلق عليها كلمة قيم هم الفلاسفة الوضعيون في فينا بعد الحرب العالمية الاولى[٦] .

وتعرف القيمة اصطلاحا بأنها مجموعة الصفات أو الاخلاق التي يرغب بها انسان ما أو مجتمع ما . ونسق القيم : هو تلك المجموعة من المبادىء التي تربط الفرد بهويته والمجتمع بتقاليده ، وتنظم العلاقات بينهم[٧] ؛ هذا يعني أنه ليس بالضرورة ان تتفق كل المجتمعات ، وفي كل الازمان على ذات القيم ، فقد تختلف منظومة القيم من مجتمع الى آخر ، ومن عصر الى آخر ، وان بقي هناك اتفاق على كثير منها ؛ لانها في أكثر الاحيان قيما انسانية يشترك فيها الناس جميعا مهما اختلف زمانهم أو مكانهم .

والقيمة أيضا ما هو جدير بأن يطلبه الانسان ، ويجعله من طموحاته المهمة لما لها من صفة انسانية ترقى بصاحبها الى مصاف الخيريين والاخلاقيين والعظماء ، فالانسان يكون عظيما بقدر ما يملك من قيم انسانية ترقى به عن كل ما هو اسفاف او سقوط ، أو حتى كل ما هو اعتيادي غير متميز، ولعل هذا ماجعل علماء الاجتماع ومنهم (بارك وبرجس) يخلصان الى أن القيمة أي شيء قيمته قابلة للتقدير[٨] ؛ لذا فان الانسان الراقي يسعى الى وجود منظومة من القيم في حياته يصبو اليها ، ويسعى الى تحقيقها ، وكذلك المجتمعات المتحضرة نراها تسارع هي الاخرى الى وجود منظومة من القيم تميزها ، وتعمل جاهدة على وجودها في المجتمع ، فهي أي القيم تحدد اتجاه السلوك الانساني ، وترسم مقوماته ، وهي أي شيء ذو أهمية أو رغبة للذات الانسانية ، وأي شيء نرى فيه حيزا ، فقد عرف (توماس وزنانيكي) القيم الاجتماعية بأنها القيم الايجابية او القيم المرغوب فيها[٩] .

---

(٦) بيومي (محمد أحمد بيومي) ، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص ٤٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٥٨.

(٨) نفسه ، ص ١٤٨ .

(٩) نفسه ، ص ١٥١ .

أما علماء النفس الاجتماعيون ، فيميلون الى الاعتقاد بأن القيم عبارة عن اتجاهات مشتركة من كونها أنساقا لقواعد معيارية أو مثل أخلاقية تؤدي دورا هاما في الحياة الاجتماعية [١٠] . وفي مجال الفلسفة القديمة يعتبر اليونانيون أول من أقام علم الاخلاق على أساس فلسفي على يد سقراط، ثم ان نظرية القيم الثابتة غير المتغيرة ، ترجع في جوهرها الى أفلاطون ،وقد تطورت هذه النظرية في القرن الحالي على يد الفيلسوف الالماني (ماكس شيلر[١١].

أما أرسطو فانه نظر الى الاخلاق على أنها علم يبحث في أفعال الانسان من حيث هو انسان ، ويهتم بتقرير ما ينبغي عمله ، وما ينبغي تجنبه لتنظيم حياة الموجود البشري وتدبيرها على أحسن وجه ، ومن ثم يقرر ان الاخلاق نشاط انساني يتميز به الكائن الانساني بوصفه كائنا يتمتع بنعمة العقل[١٢] وفي العصر الحديث يمكن اعتبار (كانت) واضع حجر الاساس في فلسفة القيم ، وذلك حين نقل مركز الفلسفة عامة من الطبيعة الى الانسان[١٣] .

ومن الفلاسفة الوجوديين يرى (سارتر) ان القيمة أشبه شيء بالمعنى وبما وراء كل تجاوز . أنها أشبه بموجود بذاته يخامر الوجود لذاته[١٤] . أما الفلاسفة الواقعيون ومنهم (رينيه لوسن) ، فيرون ان الله أو المطلق هو القيمة العليا[١٥] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٠) نفسه ، ص ١٢٣ .

(١١) زقزوق (محمود حمدي زقزوق) ، مقدمة في علم الاخلاق ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٧٠-٧١ .

(١٣) العمدة في فلسفة القيم ، ص ١٠٩.

(١٤) كومبز (يوسف كومبز) القيمة والحرية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

(١٥) بدوي (عبدالرحمن بدوي) ، الاخلاق النظرية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٥ ، ص ١٢٢ .

وفي الفكر الاسلامي نجد الامام الغزالي ينطلق من اعتبار « الله » القيمة المطلقة الوحيدة[١٦] . وأما القاضي الماوردي فقد انطلق في تخطيطه القيمي من ارادة الله وفضله ، وهي الارادة المطلقة والفضل المطلق ، ويوضح أن ما يترتب على البشر العقلاء الاحرار من واجبات التكليف في حقيقة الامر هو ما يكفل لهم صلاح أمور الدين والدنيا[١٧] .

ان القيم الانسانية هي الطابع المميز للوجود الانساني ، لذا هي خاصة به دون غيره من المخلوقات ، فهي في جوهرها جزء أصيل من كيان الانسان ، وهي وثيقة الصلة بالجانب الروحي فيه ؛ لانها تصدر عن طبع كامن في السلوك البشري[١٨] .

من هنا فقد ربط بين الانسان والقيم، لانها من خصائصه التي تميزه عن غيره من المخلوقات ، فاذا كانت الانسانية تعني كل ما يختص به الانسان من الجود والمحامد[١٩] ، والقيم تعد من لوازم الانسان ، بل هو الخالق النهائي لها في هذا العالم علمنا مدى الارتباط الكبير بينهما ، فالانسان هو الكائن الاخلاقي الذي لا يتحدد وجوده الا من خلال علاقته بالقيم[٢٠] ،والقيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٦) العمدة في فلسفة القيم ، ص ٥٦٢ ، وانظر الغزالي (أبو حامد الغزالي)، تهذيب احياء علوم الدين ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ٢١٣ وما بعدها .

(١٧) العمدة في فلسفة القيم ، ص ٥٨٤ ، وانظر الماوردي (علي بن محمد الماوردي) ، ادب الدين والدنيا ، شرح وتعليق محمد كريم راجح ، دار اقرأ ، بيروت ، ١٩٨٦ ، انظر ص ١٤٣ وما بعدها .

(١٨) قطب ، (محمد قطب) ، دراسات في النفس الانسانية ، دار الشروق بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٥٠ .

(١٩) البستاني (بطرس البستاني) ، قطر المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٨٦٩ ، ج١ ، ص ٥٣ .

(٢٠) ابراهيم (زكريا ابراهيم) ، المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠ .

تعمل على تأكيد انسانية الانسان والسمو بها الى العلا ، فهي تعبير عن الوجود الانساني في الوقت الذي تكون فيه حكما يصدره الانسان على العالم[٢١] .

القيم الانسانية في شعر الخوارج

الخوارج حزب سياسي ظهر بعد قبول علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ بالتحكيم في أثناء معركة صفين ، اذ رأى جماعة من أتباع علي الذين كانوا يحاربون الى جانبه بأن التحكيم خدعة من معاوية ورجاله ، فرفضوا حكم الرجال ، ونادوا بأن الحكم لله وحده[٢٢] .

والخوارج ليسوا بشعراء ، بل هم بالدرجة الاولى محاربون أشداء، ولعل ما قالوه من شعر حسب ما وصل الينا ما هو الا خدمة لمذهبهم وافكارهم الدينية والسياسية ، لذا هو في أغلبه يتحدث عن الحروب التي خاضوها ، وصفا لها ، أو وصفا لشجاعتهم واقدامهم ، ورثاء لابطالهم ، وفخرا بقدراتهم وصبرهم ؛ لذا دار معظم شعرهم حول شجاعتهم وحبهم للموت وايثارهم للآخرة ونبذهم للدنيا ، فهو في معظمه شعر حماسي ، وهذا أمر طبيعي فالشعر انعكاس لحياة صاحبه وفكره واهتمامه، هكذا كانت حياة الخارجي ، وهكذا كانت اهتماماته وفكره ؛ فالبطولة هي النقطة المحورية التي تدور حولها ، بل تنطلق منها جميع القيم ، وتلتقي عندها كل الفضائل .

ويعد شعر الخوارج أصدق أدبية لمذهب ديني سياسي[٢٣] ، فهم أصحاب حزب له رأي خاص في نظام الخلافة ربما كان أقرب الاحزاب السياسية الى روح الاسلام ، وقد قدّموا مهجهم في سبيله لم يوقفهم عن

---

(٢١) قنصوة (صلاح قنصوة) ، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص ١٩٧ .

(٢٢) حسين (عبدالرزاق حسين) ، شعر الخوارج ، دار البشير، عمان ، ط١، ١٩٨٦ ، انظر ص ٤٩ وما بعدها .

(٢٣) الشايب (أحمد الشايب) ، تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،ط ٥ ، ١٩٧٦،ص٢٠٤ .

ذلك صد الامويين لهم ، او المحاولات الكثيرة لاستئصالهم ، بل كانوا كلما قضي على جماعة منهم خرجت جماعة اخرى ، مما أقلق الدولة الاموية ، وساهم في خرابها ، ومن ثم زوالها • وقد كان فيهم عدد كبير من الشعراء قاموا بتسجيل كل ما يخص هذا الحزب في المجال الحربي ، وفي المجال القيمي الانساني ، فجاء شعرهم صورة معبرة عن حالهم ، وصورة حقيقية لواقعهم في معاشهم ، وفي سلوكهم ، وفي عقيدتهم وقيمهم •

ولعل من أهم قيم الخوارج المساواة والديموقراطية فعلى أساس منهما قام هذا الحزب حتى لم يأنفوا ان يجعلوا على رأسهم خليفة من الموالي ، ولم يفرقوا بين عربي ومولى منذ ذلك التاريخ البعيد • ومن قيم الخوارج الانسانية ايضا :

الثبات على المبدأ

عرف عند الخوارج صلابة في المبدأ وثبات عليه قلما وجدت في عصر من العصور ، فعلى الرغم من كل الحروب التي خاضوها ، وكل تشدد السلطان معهم ، ومحاولة قمعهم وقتلهم والتمثيل بهم الا انهم استمروا على مبدئهم من رفض التحكيم ، ورفض حكم الامويين وغيرهم • ذلك انهم رأوا ان الحياة الدنيا لا تساوي شيئا مقارنة مع الآخرة ، بل اكثر من ذلك رأوها دار ضلال يحسن الخلاص منها سريعا ، بل كرهها بعضهم كرها شديدا ، وتمنوا الموت • قال كعب بن عميرة :

لقد فاز اخواني فنالوا التي بها ... نجوا من عذاب دائم لايفتر
أبى الله إلا أن أعيش خلافهم ... وفي الله لي عز وحرز ومنصر
ويارب هب لي ضربة بمهند ... حسام اذا لاقى الضريبة يهبر
فقد طال عيشي في الضلال وأهله ... أخاف التي يخشى التقي ويحذر
أخاف صروف الدهر اني رأيتها ... تروح على هذا الأنام وتبكر[٢٤]

---

(٢٤) الخوارج ، شعر الخوارج، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٢٣ ، م١/ص٥ •

لقد آمن الخارجي بسعادته في الحياة الآخرة كما آمن بأن الدنيا دار شقوة وعذاب ، وبالتالي ، فهو يعد كل العدة للحياة الدائمة الخالدة ، وما جهاده ونضاله في وجه الشر والظلم الا واحدة من الوسائل الهامة التي يرجو من خلالها رضى الله سبحانه وتعالى والفوز بالجنة . قال فروة بن نوفل غير مبال بالدنيا ولا بالموت ، او التمثيل بالجسد الفاني بعد الموت :

ما إن نبالي اذا أراوحنا قُبضت ... ماذا فعلتم بأجساد وأبشارِ
تجري المجرة والنسران بينهما ... والشمس والقمر الساري بمقدار
لقد علمت وخير العلم أنفعهُ ... انالسعيد الذي ينجو من النار[٢٥]

ويوضح أبو بلال بن مرداس سبب كرهه للحياة بما أظهره الولاة من الجور ، واجماعهم على ظلم أهل الحق . قال :

إلهي هب لي زُلفة ووسيلة ... اليك فاني قد سئمت من الدهر
وقد أظهر الجور الولاةُ وأجمعوا ... على ظلم أهل الحق بالغدر والكفر
وفيك إلهي أن أردتَ مغير ... لكل الذي يأتي الينا بنو صخر
فقد ضيقوا الدنيا علينا برحبها ... وقد تركونا لا نقر من الذعر[٢٦]

وهو في قصيدته يعلل كرهه للدنيا وحبه للموت والحرب ، فالحياة في ظل الحاكم الجائر هي دار خطيئة اذ لن ينجو احد من الصيد أو الذبح على حد قوله ، ولما كان القتل في سبيل الله أفضل من ان ينتظر الانسان الموت ليصاد كالطير الغافل ، أو ليذبح مثل نعجة ضعيفة ، فان من باب أولى أن يسارع الانسان الى الموت ، وهو محتفظ بكرامته .

ان التاريخ السياسي للخوارج بدأ عقب صفين حين أنكروا التحكيم وانحازوا الى (حروراء) ، فخالفوا علياً وخرجوا عليه ، وثبتوا على رأيهم

---

(٢٥) المصدر السابق ، م٣/ص٥ .
(٢٦) نفسه م١٦ / ص ١١ .

هذا على الرغم من كل محاولات ردهم عنه[٢٧] ولكن من الظلم للخوارج أن نرجع ظهورهم الى أزمة التحكيم فحسب ، لانهم يمثلون تيارا أصيلا في طبيعة تطور الدين ، وهو التعبير العميق والشعور الصادر عن النفوس الشديدة الايمان بازاء تباين التطبيق عن النظر الذي جاء به الدين الحق[٢٨] .

ان كثرة الحروب التي خاضها الخوارج تؤكد ثباتهم على مبدائهم من ضرورة رفض حكم الامويين ومحاربة كل الخارجين عن الحق ، وقد اختلفوا في مواقفهم من الحرب ، فمنهم من كان معتدلا في ذلك يكره أن يسفح دما حراما ، ولا يقاتل الا من يعتدي عليه الا أنهم يتفقون جميعا على أن الحكم يجب أن يكون لله لا للرجال ، قال عروة بن نوفل في ذلك :

كرهنا أن نريق دماً حراماً ... وهيهات الحرام من الحلالِ
وقلنا في التي (...) بقول ... معاذَ الله من قيلٍ وقال
نقاتل من يقاتلنا ونرضى ... بحكم الله لا حكم الرجال
وفارقنا أبا حسنٍ عليّاً ... فما مِن رجعة أخرى الليالي
فحكّم في كتاب الله عَمْراً ... وذلك الأشعري أخا الضلال[٢٩]

كان الخارجي يشعر بأن حياته قد طالت ، وأنه اشتاق الى الفردوس ، والى من سبقوه اليها ، فيبحث عن موقف يبيع من خلاله نفسه لقاء الجنة ، وليس من وسيلة أفضل من خوض المعركة . قال الرهين بن سهم المرادي :

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي ... لا تأمنينَ لصرف الدهر تنغيصا
إني لبائع ما يفنى لباقية ... إن لم يُعقني رجاء العيش تربيصا

---

(٢٧) انظر تفاصيل ذلك في **تاريخ الشعر** السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري ، ص ٢١٠-٢١١ .
(٢٦) نفسه م١٦/ص١١ .
(٢٧) انظر في ذلك في تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني الهجري، ص ٢١٠ - ٢١١ .
(٢٨) القاضي (النعمان القاضي) ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٥ .
(٢٩) شعر الخوارج، م٤/ص ٦ .

وأسأل الله بيع النفس محتسباً حتى ألاقي في الفردوس حُرقوصا
وابن المنيح ومرداساً وإخوته اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا
تخال صفّهم في كل معترك للموت سوراً من البنيان مرصوصا[٣٠]

ان موقف الخوارج من الموت مختلف عن نظرة الاخرين له ، فنحن لانرى عندهم خوفا منه أو جزعا ، ولا نرى شكوى من الزمن الذي اعتبر سبب الفناء أو الموت .. الى غير ذلك من قضايا الزمن والموت التي قد نراها عند كثير من الشعراء[٣١] ، بل هو عندهم تجربة حية ذاتية يحياها الانسان الخارجي لحسابه الخاص ، فالخارجي مؤمن بحتمية الموت ، وبالتالي ان كان لابد منه عاجلا أم آجلا ، وبما انه ليس بضامن لحياته الدنيوية لا في ديمومتها ولا في نوعيتها ، فليضمن الآخرة بديمومتها ونوعيتها ، وبالتالي هو يسارع الى قهر الموت بضمان الحياة الخالدة في الآخرة ، والى قهر الشر والظلم والضلال بضمان الخير والعدل في الآخرة ، وفي هذا فلسفة توضح رؤية الانسان الخارجي في جدله مع عالمه ، فهي مبنية على أسس دينية اسلامية صرفة ، فاتخذ من مقولة الموت منطلقا لسلوكه ، وكان لرؤيته للوجود والحياة، والفناء والموت أثر كبير في تشكيل قيمة وابداع نماذجه الانسانية التي تبدو في كثير من صورها محاولة لقهر العجز الانساني ، وهي صورة أخرى للانسان وحضوره في مقابل صورة الانسان الآخر المقهور فريسة للدهر ، انها بالنسبة للخارجي صورة الانسان المنتصر في ميدان القتال على الموت والظلم[٣٢] .

---

(٣٠) المصدر السابق ، م ٦١/ص ٣٢-٣٣ .
(٣١) انظر شحادة (عبدالعزيز محمد شحادة) الزمن في الشعر الجاهلي ، مكتبة حمادة للخدمات والدراسات ، اربد - الاردن ، ١٩٩٥ ، ص١١٩ ، وما بعدها .
(٣٢) يوسف (حسني عبدالجليل يوسف) الانسان والزمان في الشعر الجاهلي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ١٤٨ .

هذا أسلوب آخر في مواجهة الموت والطغيان ، فقد أدرك الخارجي أن الموت هو الحقيقة الوحيدة التي لايرقى اليها الشك ، ولكنه استطاع في الوقت نفسه أن يميط اللثام عنه بتعريته من حقيقة الخوف والفزع ، والقلق الدائم من قدومه ، فصرعه وتخلص منه قبل أن يعمد هو ؛ أي الموت الى صيده والخلاص منه ؛ لذا نراهم يقتربون من وجهة نظر الوجوديين في الموت ؛ لانهم حين يتحدثون عنه لايتجهون بأبصارهم نحو مشاهد الشيخوخة والمرض واختناق النفس والحشرجة والاحتضار وتوقف ضربات القلب[٣٣] ، بل هم يصوبون أنظارهم نحو «أسلوب» الانسان الخارجي في مواجهة الموت والسعي له ، وتقبله مقتنعا مؤمنا بضرورته حتى يتحول عنده الى مذاق جميل كالعسل . قال البهلول بن بشر الشيباني :

من كان يكره أن يلقى منيته ... فالموت أشهى الى قلبي من العسل
فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ... ولا الحذار ينجيني من الأجل[٣٤]

ويشبهه قول الاعرج المعني الذي يعرّف الخوارج بأنهم (بنو الموت). قال :

أنا أبو برزة إذ جدّ الوهل ... خلقتُ غير زمل ولا وكل
ذا قوة وذا شباب مقتبل ... لا جزع اليوم على قرب الأجل
الموت أحلى عندنا من العسل ... نحن بني ضبّة أصحاب الجمل
نحن بنو الموت اذا الموتُ نزل ... ننعى ابن عفان بأطراف الأسل[٣٥]

وقال الضحاك بن قيس في رثائه لسعيد بن بهلول يسأل الله الموت :

سقى الله ياخوضاء قبراً وحشوهُ ... اذ رحل الشارون لم يترحل
فيا ملحق الأرواح هل أنت ملحقي ... بموتى مضى فيهم سعيدُ بن بهدل[٣٦]

---

(٣٣) ابراهيم (زكريا ابراهيم) ؛ مشكلة الانسان ؛ دار مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ١١٨.
(٣٤) شعر الخوارج ، م١٤٠/ص ٧٣ .
(٣٥) المصدر السابق ، م ١٧٧/ / ص ٩٥ .
(٣٦) نفسه ، م١٦٢/ ص ٨٢ .

ولعل الذي يطيب بهم طعم الموت مزجه بالذكر كما قال أحدهم :

وإن كريه الموت عذاب مذاقه اذا ما مزجناه بطيب من الذكر[٣٧]

وموقف الخوارج هذا موقف غريب لم نعهده عند العرب على هذه الشاكلة ، فعلى الرغم من كل ما عرفناه عن صمود العربي وشجاعته وبسالته في ساحات الوغى ، فان النفس تكره القتال وتعافه ، وتبعد عنه ما استطاعت الى ذلك سبيلا وقد أطلقت العرب على الحرب أسماء كثيرة توحي بكراهيتها لها مثل الكريهة ..، وقد تصمد وتصبر ان كان لابد من ملاقاته دفاعا عن النفس ، أو الشرف أو الحقوق الانسانية من طعام وماء . قيل لعنترة ، أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال : كنت أقدم اذا رأيت الإقدام عزما ، وأحجم اذا رأيت الإحجام حزما ، ولا أدخل إلا موضعا أرى لي منه مخرجا ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله[٣٨] .

لكن الخارجي كان يفعل أكثر من ذلك بكثير ، فهو يسعى الى الموت سعيا حثيثا ، بل يتمناه حقيقة ، وما كان ذلك ليصدر عنه لولا ايمانه القوي بمبدئه وثباته عليه. فايمانه جعله يؤمن بضرورة السعي للفوز برضى الله سبحانه وتعالى ، والجنة ، فطالما أن الدنيا دار غرور ، لابوجد فيها غير الظلم والضلال واختلال القيم الانسانية ، لم يبق أمامه سوى السعي للوصول الى الدار الآخرة بحثا عن دار خالدة يجتمع فيها مع الابرار والاتقياء وذوي القيم الانسانية العالية التي أكد الخارجي ضرورة تواجدها عند الانسان المؤمن التقي . قال الحويرث الراسبي يرثي صالح بن مسرح التميمي :

اقول لنفسي في الخلاء ألومها هبلت دعيني قد مللتُ من العمر

ومن عيشة لا خير فيها دنيئةٍ مذممة عندالكرام ذوي الصبر

---

(٣٧) نفسه ، م٢٢٨ / ص ١١٨ .

(٣٨) الاصفهاني (ابو الفرج الاصفهاني) ،الاغاني ، دار احياء التراث ، القاهرة، ١٩٦٣ ، ج٨ ، ص ٢٤٤ .

سأركب حوباء الامور لعلني ألاقي الذي لاقى المحرق في القصر[٣٩]

والقتل في ساحة الوغى عند الخارجي يحقق له المجد ، لذا نراه يذهب الى الحرب بصدر رحب ، وكأنه يستقبل عزيزا أو حبيبا يشتاق اليه كثيرا ، فلقد غلب على الانسان الخارجي الميل الى الحرب ، والاقتتال باستمرار حتى شهر بها ، قال الأصم الضبي وهو قيس بن عبدالله :

وإنا لخواضون للموت غمرة على كل موار رقاق ملاطمه
وإنا لنردي بالأكف رماحنا ويبني بها من كل مجد مكارمه
اذا ذعرت ذات الرماح جرت لنا أيأمنُ بالطير الكثير غنائمه[٤٠]

لذا تراهم يبيعون في سبيل الجنة كل غالٍ ونفيس من الاهل والولد، ومن هنا كانوا يسمون بالشراة ؛ لانهم شروا أنفسهم ، أي باعوها في سبيل الله ، وقد اتخذوا هذا الاسم من الآية الكريمة التي تقول : «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله »[٤١] . قال الصحاري بن شبيب :

لم أرد منه الفريضة إلا طمعاً في قتله أن أنالا
فأريح الارض منه ومن عاث فيها وعن الحق مالا
كل جبارٍ عنيده أراه ترك الحق وسنّ الضلالا
إني شارٍ بنفسي لربي تارك قيلا لديهم وقالا
بائعٌ أهلي ومالي أرجو في جنان الخلد أهلاً ومالا[٤٢]

وحتى يحققوا مرادهم من الموت فقد دعوا الى الحرب بشدة وباصرار نادرين ، وتنادوا لها في كل وقت ولبوها مسرعين .

ان أئمة الخارجي وكبرياءه جعلناه يتمنى أن يقف في وجه عدوه ليقتله ، ويشفي نفسه من كل ما لحقه ولحق جماعته من خوف أو طرد أو

---

(٣٩) شعر الخوارج ، م١١٦/ ص ٦٠-٦١ .
(٤٠) المصدر السابق ، م١٠٩/ص٥٧.
(٤١) سورة البقرة ، آية ٢٠٧ .
(٤٢) شعر الخوارج ، م١٣٨/ ص٧٢-٧٣ .

قتل ، فالخارجي قلما يتسامح مع عدوه ، والاسلوب الامثل في التعامل معه لايكون الا بمهاجمته في ساحة المعركة وقتله لايهمه في ذلك شيء مهما بلغ .

والخارجي لايعتمد سوى على ذراعه في النجاة من الكرب . قال أبو الوازع الراسبي يحض نافع بن الازرق على الخروج :

لسانك لاتتكي به القوم إنما تنال بكفيك النجاة من الكرب
فجاهد أناساً حاربوا الله واصطبر عسى اللهأنيخزيغوي بنيحرب[٤٣]

ان ظاهرة الامعان في القتل ، وكثرة خوض الحروب عند الخوارج ظاهرة بحاجة الى تفسير ، ولعل فيما ذهب اليه أنصار المدرسة الاجتماعية الفرنسية حين نظروا الى « الظاهرة الخلقية » على أنها واقعة حتمية ضرورية ، يمكن التعرف على أسبابها بالرجوع الى الظروف الاجتماعية التي أحاطت بهذا المجتمع أو ذاك في هذه الحقبة التاريخية أو تلك تعين على ذلك ، فالظاهرة الخلقية في نظر علماء الاجتماع الخلقي «واقعة موضوعية» تتصف بالشيئية والضغط والجبرية كغيرها من الظواهر الاجتماعية الاخرى ، ولكنها في الوقت نفسه ظاهرة نوعية تحتل في صميم الحياة الجمعية مكانة خاصة لما لها من سلطة وإلزام وقدسية[٤٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد جاء الإسلام بنظام اجتماعي وسياسي واقتصادي مثالي للعرب استفاد منه الضعفاء والفقراء أكثر من غيرهم ؛ وبعد وفاة الرسول عليه السلام ، وتولي الخلفاء الراشدين الخلافة ، حافظوا على كثير من أسس هذا النظام لاسيما في عهد أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، ولكن سرعان مابدأت الامور تختلف منذ زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وانتهى الامر الى قتله ، ونشوب الفتن المتتالية ؛ مما جعل جماعات كثيرة تجتمع حول علي بن أبي طالب لعله يكون المخلص لهم ، ولكن لما قبل بالتحكيم خرجت جماعة الخوارج عليه ؛ واستمر هؤلاء على موقفهم

(٤٣) المصدر السابق ، م٦٤/ ص ٣٣ .
(٤٤) المشكلة الخلقية ، ص ٧٨ .

بعد مقتل علي ، فوقفوا في وجه حكام بني أمية وقفة صارمة ، وحاربوهم بشراسة ، فالظروف السياسية من جعل الخلافة وراثية في بني أمية ، وما صاحب ذلك كله من سيطرة تامة على أموال الامة ومقدراتها ومراكزها السياسية والعسكرية شكّل صدمة كبيرة في المجتمع الاسلامي الذي أفاق من نومه المريح القصير الذي حلم فيه بالمساواة والعدل والامان المادي والنفسي ليجد أن كثيرا من مكتسبات هذاالدين ذهبت أو كادت ، فالامويون يريدون الخلافة قرشية عبشمية ، والشيعة يريدونها قرشية هاشمية ، والزبيريون يريدونها قرشية عامة ، وجميعهم في نظر الخوارج خالفوا شرع الله ، وحكم القرآن الذي رآها تجوز لأفضل المسلمين ولو كان عبدا حبشيا .

ولا شك في أن العقيدة الدينية غذت هذا عندهم بما وعدت المؤمن الذي يدافع عن حقوقه ، ويقف في وجه الظلم والطغيان بالجنة فضلا عن أن كثيرا منهم جاؤوا من مجتمعات بدوية اعتادت حياة الحرب والفروسية لذا حاول الخوارج ترسيخ مفهوم البطولة في مقاتلتهم لخصومهم ، وخوض المعارك الحاسمة مهما كلفتهم من تضحيات ، لانهم يعلمون أنهم في صراع من أجل الوجود ، من أجل تثبيت حقوقهم التي اكتسبوها من الدين الجديد الذي أملوا من دخولهم فيه كل خير ومساواة ، وأمان مادي ونفسي ، وثبتوا على موقفهم هذا ثباتا شديدا رغم كل محاولات قمعهم والخلاص منهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصبر

تحتاج الحرب أكثر ما تحتاج الى الصبر ، والخوارج له ، فهم صابرون مرابطون ، فالصبر أحد القيم الانسانية المهمة التي برزت في حياة الخوارج وأشعارهم ، ولعل صبرهم يتناسب مع شدة ايمانهم بمبدئهم الذي عاشوا دفاعا عنه ، وماتوا في سبيله دون خوف أو فزع من نار الحرب وويلاتها. قال نجدة بن عامر الحنفي :

وإن جرّ مولانا علينا جريرة صبرنا لها ، ان الكرام الدعائم(٤٥)

---

(٤٥) شعر الخوارج ، م٦٣/ ص ٣٣ .

وقال قطري بن الفجاءة في قصيدة له :

فلن تهزموه بالمنى فاصبروا له وقولوا لأمر الله أهلاً ومرحبا
فما الدين كالدنيا ولا الطعن بالقنا ولا الضر كالسرّ ولا الليث ثعلبا[٤٦]

وتبرز قيمة الصبر وضرورتها ، وتمسك الخوارج بها من خلال وصف المعارك الضارية التي كانوا يخوضونها الواحدة تلو الاخرى . قال ابو بلال بن مرداس بن أدية :

اذا جشأت نفس الجبان وهللت صبرنا، ولو كان القيام على الجمر[٤٧]

والواقع ان الحرب قد حببت الى نفوس العرب من قبل الإسلام خصال الشجاعة والنجدة والبأس والقوة ، وهي صفات حميدة تتنافى وصفات الخور والضعف والجبن والهلع ، فكانوا يتمادحون بالموت في الهيجاء وميادين الحروب قطعا بأطراف الرماح ، أو سقوطا تحت ظلال السيوف[٤٨] . وبالتالي فلا غرابة ان نجد مثل هذا عند الخوارج مع ما عرفوا عنه من نذر نفوسهم للموت ، ومع ما عرفوا عليه من شجاعة وحب للقتال ، بل تهافت كثير منهم عليه . قال قطري بن الفجاءة :

فصبراً في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع[٤٩]

وقال معاذ بن جوين :

مشيحاً بنصل السيف حمس الوغى يرى الصبر في بعض المواطن أمثلا[٥٠]

وقال آخر :

ومن يخش أظفار المنايا فانتا لبسنا لهن السابغات من الصبر[٥١]

---

(٤٦) المصدر السابق ، م ٩٣/ ص ٤٩ .
(٤٧) نفسه ، م١٦/ص ١١ وانظر كذلك م١٩ / ص ١٢-٢٣ .
(٤٨) القيسي (نوري حمودي القيسي) ، الفروسية في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٩٠ .
(٤٩) شعر الخوارج ، م٨٢ / ص٤٣ .
(٥٠) المصدر السابق ، م١١ / ص٩ .
(٥١) نفسه ، م٢٢٨ / ص ١١٧ .

ان شعر الخوارج يتسم بالجزالة والقوة اذ انعكست فيه صلابتهم وحماستهم وقوتهم ، ومجال شعرهم السياسية الدينية[٥٢] . قال عبيدة بن هلال اليشكري مؤكدا قصر أعمار الخوارج ؛ لانهم يعيشون حياة حرب دائمة ، فهم جاهزون للموت صابرون مرابطون دائما في كل حال ؛ لانهم يخرجون من حرب فيدخلون في أخرى :

ومسموم للموت يركب ردعه ... بين القواضب والقنا الخطّار
يدنو وترفعه الرياح كأنه ... شلو تنشّب في مخالب ضار
فثوى صريعاً ، والرماح تنوشه ... ان الشراة قصيرة الأعمار[٥٣]

أما حبيب بن خدرة الهلالي ، فقد قال قصيدة يصف مشاركته في كتيبة كثيفة ، وهو وزملاؤه يسارعون الى الموت يتسابقون اليه بأطراف الرماح مؤكدا على كرم أخلاقهم وتمسكهم بقيم الصبر والثبات والبطولة . قال :

هل أتى فائد عن أيسارنا ... إذ خشينا عن عدو خُرُقا
إذ أتانا الخوف من مأمننا ... فطوينا في سواد أفقا
وسلي هديةَ يوما هل رأت ... بشراً أكرم منا خلقا
وسليها أعلى العهد لنا ... أو يصرون علينا حنقا
ولكم من خلّة من قبلها ... قد صرمنا حبلها فانطلقا
قد أصبنا العيش عيشا ناعما ... وأصبنا العيش عيشا رنقا
وأصبتُ الدهر إذ لا أشتهي ... طبقاً منه وألوي طبقا
وشبدت الخيل في ملومة ... ما ترى منهن إلا الحدقا[٥٤]

---

(٥٢) الحوفي (أحمد محمد الحوفي) ، ادب السياسة في العصر الاموي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٧٩ ، ص٢٢٦-٢٢٧ .
(٥٣) شعر الخوارج ، م ٩٨/ص ٥٢ .
(٥٤) المصدر السابق ، م ١٥٥/ ص ٧٩ .

هناك علاقة واضحة بين الدين والقيم عند الخوارج اذ أن للقيم الدينية تأثيرا عظيما على أنساق القيم الاخرى ، فالقيم السياسية عندهم مؤسسة في كثير من الاحيان على القيم الدينية ، والحرب لها جزاء ديني وتعتبر واجبا دينيا(٥٥) ، ولعل هذا الذي دفع الخوارج الى التشبث بالحرب والصبر على ويلاتها تعبيراً عن قيم دينية أصبحت راسخة في أذهانهم وعقيدتهم ملخصها انه لابد من تحكيم كتاب الله في الخلافة وولاية أمر المسلمين ، ولتحقيق ذلك لابد من قتال الرافضين لهذا المبدأ أو المنكرين له مهما كلف ذلك ، فهؤلاء يمثلون الظلم والجور هم وولاتهم وكل من يحارب في صفهم ؛ لذا فان من يراقب رغبة الخوارج واصرارهم على الحرب والموت وصبرهم على ذلك ، لابد أن يدرك ان وراء ذلك قيما دينية تعمقت نفوسهم ، وظهرت في أقوالهم وأفعالهم • ولعل هذا يؤكد ان الدين الإسلامي هو مصدر كثير من القيم عند الخوارج ، أو في الاقل يمكن القول بأن نسق القيم عند الخوارج في كثير من الاحيان مؤسس على الدين •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البطولة

شجاعة الخوارج وفروسيتهم تعد احدى أساطير البطولة في التاريخ العربي ، فهي شجاعة منقطعة النظير تشبه ما يسمى في أيامنا هذه بالهجمات الانتحارية على الخصم ، وما كان هذا ليكون لولا شدة ايمانهم بمبدئهم وثباتهم عليه ، وحسن ظنهم بما سيلاقونه من نعيم عند الله سبحانه وتعالى ؛ انها محاولة لتعجيل الآخرة ، ولو كان القيام على الجمر ، وهم يتلقون القنا بنحورهم ، وبهاماتهم يتلقون كل سيف بتار ، قال أبو بلال مرداس بن أدية :

فلسنا إذا جمّت جموع عدونا وجاءوا الينا مثل طامية البحر
نكف إذا جاشت الينا بحورهم ولا بمهايبٍ نحيد عن البتر

(٥٥) انظر علم اجتماع القيم ، ص ١٨٣ .
(٥٦) شعر الخوارج م١٦ ، ١١ وانظر كذلك م/١٥٥ ص ٧٩-٨٠ .

ولكننا نلقى القنا بنحورنا وبالهامِ نلقى كل أبيض ذي أثر
اذا جشأت نفس الجبان وهللت صبرنا،ولو كانالقيام علىالجمر(٥٦)

ويؤكد الشاعر الخارجي شجاعته فيمواقف متعددة ، ومنها عدم التفكر في أمر جسده بعد موته ، وكل ما يمكن أن يحل به من تمثيل ؛ لانه مؤمن بأن روحه ستصعد الى الجنان ، ولما كان مؤمنا بقدره ، وبحسن الثواب عند الله سبحانه وتعالى ، فهو لايعرف خوفا أو اندحارا ، بل شجاعة وتقدما • قال أبو بلال مرداس بن أدية أيضا :

ما إن نبالي اذا أرواحنا خرجت ماذا فعلتم باجسادٍ وأوصال
نرجو الجِنان اذا صارت جماجمنا تحت العجاج كمثل الحنظل البالي
إني امرؤ باعثي ربي لموعده اذا القلوب هوت من خوف أهوال
وأدّت الارض مني مثل ما أخذت وقُربت لحساب القسط أعمالي
نفسي ظنون ولست الدهر آمنها من بعد كعب وطوّاف وغسال (٥٧)

وبعضهم كان يخرج راجلا لمحاربة السلطان مفتخرا ، ومعبرا عن شجاعة عظيمة ، وعدم خوف من موت محقق • قال حيي بن وائل :

أما أقاتل عن ديني على فرس ولا كذا رجلا إلا باصحاب
لقد لقيت إذن شراً وأدركني ما كنت أزعم في خشمي من العاب(٥٨)

فالخارجي أكثر ما يمدح به شجاعته ، فهي عنوان وجوده ودليل صدقه ، وصفة تميزه عن غيره • قال عمران بن حطان يصف رجلا من الخوارج ، وأن أمه قد أنجبت بولادته حيث جاءت به كشبا الحديد ، وهو حاذق فهم مشمر للحرب، لايثبت على ظهر دابته ، دائم الاستعداد للمعركة ، لايلهيه شيء عنها ، وسيفه حاضر للضرب دوما ، وهو يختار أدوات الحرب بدقة وذكاء اختيار العارف الخبير :

قد أنجبته وأشبته وأعجبها لو كان يُعجبها الإنجاب والحبل

---

(٥٧) المصدر السابق ، م١٤/ ص ١٠ .
(٥٨) نفسه ، م ١٦٨ / ص ٩١ .

تقف حويد مبين الكف ناصعه ... لا طائش الكف وقّاف ولا كثل
لم تلهه إربة عن رمي أسهمه ... وسيفه لا مصاباة ولا عطل
عرّى الركاب التي قد كان يعملها ... واختار أجرد صهالا له خُصل
كأنه فِلكة في كف فارسه ... اذا جرى وهو حامي العقب منسحل
يمشي بشكته في القوم مشترف ... كأنه قارح بالدوّ مبتقل
يثني الحبال بجوزٍ تم محزمه ... منه فلا سخف فيه ولا رهل
وحارك مثل شرخ الكور مرتفع ... وليس في صُلبه ضعف ولا عصل
طوع القياد وأي تقريبه خذمٌ ... أقبُّ كالسيد لا رطل ولا سغل
حتى كأنّ بعرشيه ومحزمه ... أشطان بئر متوح غربها سجل(٥٩)

وتتبدى شجاعة الخارجي أكثر في ساحة المعركة، فهم دائمو الاستعداد لملاقاة الموت نهارهم جلاد ، وليلهم سهاد حيث يبيتون محصنين بسلاحهم ، ومن كان حاله كذلك فلابد ان ينشغل عن أمور الدنيا بما في ذلك غنائم الحروب ؛ لان هول المعركة بما فيها ضرب السيوف ، وتطاير الرماح ،وأكوام القتلى تنسيه كل شيء . قال يزيد بن حبناء مخاطبا زوجته مبينا لها طبيعة الخوارج وصفاتهم وهمومهم وطموحاتهم :

ولا تعذلينا في الهدية ، إنما ... تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهاره ... جلاداً ويُمسي ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوماً بطعنة ... غموسٍ كشدق العنبري ابن سالم
أبيتُ وسربالي دلاص حصينة ... ومغفرها والسيف فوق الحيازم
حلفتُ برب الواقفين عشية ... لدى عرفات حلفة غير آثم
لقد كان في القوم الذين لقيتهم ... بسابور شغل عن بزور اللطائم
توقد في أيديهم زاعبية ... ومرهفة تفري شؤن الجماجم
ترى الخيل تردي بالتجافيف بينهم ... بفرسانها ، مر النسور القشاعم

(٥٩) نفسه ، م٥٠/ص٢٧ ، وانظر كذلك م١٦١/ص ٩١ .

اذا انتطحت منا كراديس غادرت جراثيم صرعى للنسور القشاعم
ولم أكُ مشغولا بسابور عنكم وبالسفح إذ نغشى صدور الغواشم[٦٠]

فالخارجي فضلا عن شجاعته عفيف لايدخل الحرب من أجل الاسلاب والغنائم وهذه أخلاق الفرسان من العرب ، وأخلاق المجاهدين في سبيل الله؛ لأنه يبغي غنيمة أسمى من كل اسلاب الدنيا • وهو يفتخر بقيمه هذه ، والفخر بالقيم العظيمة هو من موضوعات شعر الفروسية ؛ لانه يمثل تطلع النفس الى ذاتها، والوسيلة التي يستثير بها مفاخره وذكريات أيامه ، فالفخر في هذا الموضع يُعد الخط الاول للهجوم يرهب به الخصم عدوه ، ويضعف به معنوياته ، وهو يتخذ معانيه من جانب المفتخر نفسه أو جماعته بخلاف الهجاء الذي يصدر عن نفس ساخطة ، ويتخذ مادته من جانب المهجو أو قومه أو حزبه[٦١] •

والخوارج مبرؤون من كل عيب ، مكارمهم كثيرة ، وأخلاقهم عظيمة ، كرماء في تقديم نفوسهم دفاعا عن مبادئهم وقيمهم • قال عمر بن الحصين العنبري :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومبرئين من المعايب أحرزوا خصل المكارم أتقياء أطايب
عروا صوارم للجلاد وباشروا حدَّ الظباة بأنفٍ وحواجب
ناطوا أمورهم بأمر أخ لهم فرمى بهم قحم الطريق اللاحب
متسربلي حلق الحديد كأنهم أُسد على لحق البطون سلاهب
قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل تنفي عداها جانبا عن جانب
تحمي أعنتها وتحوي نهبها لله أكرم فتية وأشايب
حتى وردن حياض مكة قطبا يحيكن واردة اليمام القارب
ما إن أتين على أخي جبريةٍ إلا تركنهم كأمس الذاهب

(٦٠) نفسه ، م ٧٠/ ص ٣٦–٣٧ .
(٦١) الفروسية في العصر الجاهلي ، ص ٢٤٣ .

في كل معتـرك لهـا مـن هـامهم قلق وأيـدٍ علقـت بمنـاكب
سائل بيـوم قديد عـن وقعاتهـا تخبرك عن وقعاتهـا بعجائـب(٦٢)

لقد كان الخوارج يخرجون في فئات قليلة مقارنة بجيوش السلطان ، لكن شجاعتهم وايمانهم كانا يعوضانهم عن قلة العدد ، فيحققون النصر كما حدث في موقعة أسك المشهورة ، فقد غلب الخوارج وعددهم ستة وثلاثـون رجلا جيشا أمويا عرموما • قال عيسى بن عاتك الخطي :

فلمـا أصبحوا صلـوا وقـاموا الـى الجـرد العتـاق مسومينـا
فلمـا استجمعـوا حملـوا عليهم فظـل ذوو الجعائـل يقتلـونا
بقيـة يومهـم حتـى أتاهـم سـواد الليـل فيـه يراوغونـا
يقـول بصـيرهم لمـا رآهـم بأن القـوم ولـوا هـاربينا
أألفـا مـؤمن ـ فيمـا زعمتم ـ ويهزمهـم بأسـك أربعـونا
كذبتـم ليـس ذاك كمـا زعمتم ولكـن الخـوارج مؤمنـونا
هـم الفئـة القليلـة غـير شـك على الفئة الكثـيرة ينصـرونا (٦٣)

ولما كان سلاح الخارجي أهم مقومات حياته ، وصديقه الملازم له ليلا نهارا ، فقد ركز على صفاته الايجابية من قوة وحدة ، فلقد كانت عدتـه في المعركة رمحا عظيما ، وسيفا قاطعا ، ودرعا حصينة ، وفرسا سريعـة • قـال عمر القنا العنبري مؤكدا اكتفاءه من الدنيا بالدرع الحصينة ، والفرس النجيبة ليجاهد أعـداءه :

لا خير في الدنيـا لمـن لم يكن له مـن الله في دار العنـان نجيـب
فحسبي من الدنيـا دلاص حصينة وأجـرد خـوار العنـان نجيـب
أجـاهد أعدائي اذا ما تتابعـوا وأدعـى باسمي للهـدى فـأجيب
معـي كل أواه يرى الصوم جسمه ففي الجسم منه نهكة وشحوب(٦٤)

---

(٦٢) شعر الخوارج ، م١٦٦ /ص ٩٠.
(٦٣) المصدر السابق ، م ٢٣/ ص ١٤ .
(٦٤) نفسه ، م ٧١/ص ٣٨ ـ ٣٩ .

وقال يزيد بن حبناء :

ابيت وسربالـي دلاص حصينـة ومغفرها والسيف فوق الحيازم[٦٥]

أما ابو الوازع الراسبي ، فلا يريد من الدنيـا سـوى الله صاحبـا وسيفـا قاطعا حادا :

سأشري ولا أبغي سوى الله صاحبا وأبيض كالمخـراق عضب المضارب

فقد ظهر الجـور المبـير وأجمعت على ذلك أقوام كثيرو التكاذب[٦٦]

ويشبهه قول عطية بن سمرة الليثي الذي يكفيه هو الاخر من الدنيـا الدرع الحصينة ورمح ، وفرس قوية ، وعشرة من الشراة ليحقق مراده فيشفي غليله من الولاة الطغاة . قال :

وحسبي من الدنيا دلاص حصينـة ومغفرها يومـا وصـدر قنـاة

واجرد محبـوك السـراة مقلـص شديد أعاليـه ، وعشـر شـراة

فأبلـغ منه حاجتـي وبصـيرتي وأشفي نفسـي من ولاة طغـاة[٦٧]

ولا شك في أن قيم الخارجي اختلفت عن قيم كثير من الناس،وباختلاف الحاجات ، فلم يعد يطمح الواحد منهم الى المال او حوائج الدنيا التي تؤدي بالانسان الى الحياة اللينة السهلة ، وانما الخارجي يرى هذه الدنيا دار عبور الى الآخرة حيث الحياة الهانئة الخالدة ، وبالتالي هو يتزود من الدنيا بما يضمن له حسن الآخرة ، ولما كان الجهاد في سبيل الله ، ومحاربة الظلم والطغيان من الوسائل المضمونة والسريعة الى الآخرة لم يعد يهمه منها الا الحصول على أدواته من سلاح ، وارادة ، وشجاعة ، وايمان بالمبدأ ، وثبـات عليه . ولم يكن هذا بالنسبة للخوارج من الرجال فقط ، بل كان الامر كذلك عند النساء

---

(٦٥) نفسه ، م ٧٠/ ص ٣٧.

(٦٦) نفسه ، م ٦٥ / ص ٣٤ .

(٦٧) نفسه ، م٦٠ / ص ٣٢ .

اللواتي لم يعد همهن اللباس والزينة والحلي وانما أمور اخرى ، فها هي امرأة المختار ابن عوف تستبدل السيف بسوارها ، قالت :

أنا ابنة الشيخ الكريم الأعلم من سال عن اسمي فاسمي مريم
بعت سواري بسيفٍ مخذم
أضرب قوماً حبطت أعمالهم والله مولانا ولا مولى لهم(٦٨)

وقالت أم حكيم :

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتىً يحمل عني ثقله(٦٩)

واذا كانت العقيدة أساس البطولة ؛ لانها القوة التي تهيمن على الفكر ، وعلى العزيمة ، وتتجه بهما الى اذاعتها وحمايتها ؛ فيرى البطل في عزة عقيدته عزته ، وفي قوتها قوته ، ولايطيق أن يعوق عقيدته معوق ، او ينزل بها ضيم ؛ لان في المساس بها هدما لانسانيته وتقويضا لبطولته(٧٠). فانه يندفع الى اذاعة عقيدته غير مبال بما يعترضه ، هكذا كان الخارجي يدافع عن عقيدته، وعن قيمه الدينية بكل ما أمكنه من طاقة وعزيمة مقدما في سبيلها كل غالٍ ونفيس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشجاعة لاتقتصر على ساحة المعركة ، فالتمسك بالعقيدة مهما لحق صاحبها من مضايقات أو تعذيب تعد شجاعة عظيمة ، ولقد بلغ الخوارج في هذا الجانب مبلغا عظيما ، ولهم قصص في الشجاعة والثبات على العقيدة تناقلتها كتب الاخبار تبهر الانسان وتدهشه(٧١) .

---

(٦٨) نفسه ، م ٢٢١/ ص ١١٥ .
(٦٩) نفسه ، م٧٩ / ص ٤١ .
(٧٠) الحوفي (أحمد الحوفي) ، البطولة والابطال ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٩ .
(٧١) المبرد (الامام ابو العباس المبرد) ، أخبار الخوارج من كتاب الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف ، دار الفكر ، د.ت ، ص٥٩ وما بعدها ؛ وانظر كذلك الطبري (محمد بن جرير الطبري)، تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ج٣ ، ٢٤٥ .

ومن فصول شجاعة الخوارج ومظاهرها ايضا انتقاد سياسة الحكام والوقوف في وجوههم • قال عمران بن حطان يعير الحجاج بعدم قدرته على الوقوف في وجه غزالة الخارجية التي هزمته في غير معركة :

أسد عليّ وفي الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس ... تركت منابره كأمس الدابر
ألقِ السلاح وخذ وشاحي معصر ... واعمد لمنزلة الجبان الكافر(٦٢)

وكذلك بدت شجاعتهم في انتقادهم لكثير من الآفات الاجتماعية التي كانت تنتشر بين أفراد المجتمع ، وفي مقولة حق جريئة كانوا يقولونها للشعراء الذين يقفون على أبواب الخلفاء والامراء للتكسب في شعرهم من أجل حفنة من الدراهم داعيا اياه الى سؤال الله سبحانه وتعالى بدلا من سؤال الناس • قال عمران مخاطبا الفرزدق منتقدا كذبه في نعت الممدوح بصفات غير موجودة فيه :

أيها المادح العباد ليعطي ... إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم ... وارج فضل المقسِّم العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه ... وتسمي البخيل باسم الجواد(٦٣)

وكذلك انتقادهم لاولئك الذين كانوا يرضون بأي حاكم مهما كانت أخلاقه أو عقيدته طالما هو يدفع لهم العطاء • قال :

فلو بُعثت بعض اليهود عليهم ... يؤمهم او بعض من قد تنصرا
لقالوا رضينا أن أقمت عطاءنا ... وأجريت ذاك الفرض من بُركسكرا(٧٤)

---

(٧٢) شعر الخوارج ، م٤٥ / ص ٢٥ .
(٧٣) المصدر السابق ، م ٣٦ / ص٢٠ .
(٧٤) نفسه ، م٣٥/ ص ٢٠ .

التقـــوى

من قيم الخوارج المهمة التقوى وحسن التدين ، فالخوارج حزب ديني بالدرجة الاولى ، وبالتالي ، فالشيء الطبيعي ان يكون اتباعه على درجة عالية من حسن التدين وقوته ، ومن كان يؤمن ايمان الخوارج بالآخرة ، وضرورة نبذ الدنيا يجب أن يكون تقياً • قال عمر بن الحصين العنبري يصف جماعة من الخـوارج :

متـــأوهين كـأن في أجوافهـم ... نارا تسعرهـــا أكـف حواطـب
تلقاهـم فتراهـم مـن راكـــع ... أو ساجـدٍ متضرع أو ناحـــب
يتلـو قـوارع تشـري عبـراته ... فيجودهـا مـري المـري الحالب
سبـرٍ لجائفـة الأمـور أطبـــة ... للصدع ذي النبأ الجليل مرائب(٧٥)

يعتبر شعر عمر بن الحصين العنبري من الشعر الهام التي أبـان فيها الشاعر الخارجي عن قيم جماعية ، فهم قد جعلوا همهم الحرب والدفاع عن المبدأ ، وهم صابرون ، أوفياء ، أعفّاء يلتزمون بآداب الحديث ، ويعرفون آداب المجالس ، أتقياء ، خاشعون ، ليلهم قيام ، ونهارهم حروب ، ومجالدة• قـــال :

في فتيـــة صبـروا نفوسهـــم ... للمشرفيـــة والقنـــا السمـر
تالله ألقـى الدهـــر مثلهـــم ... حتى أكـون رهينـــة القبـــر
أوفـى بذمتهـــم اذا عقـــدوا ... واعـف عنـد العسـر واليســـر
متأهبـون لكـــل صـالحـــة ... ناهـون من لاقـوا عـن النكـر
صمـت اذا احتضروا مجالسهم ... وزن لقـول خطيبهـم وقـــر
ألا تجيئهـــــم فـــانهـــم ... رجف القلـوب بحضـرة الذكـر
متـأوهـون كـأن جمـر غضـا ... للموت بـين ضلوعهـم يسـري
تلقـــاهـــم إلا كأنهـــم ... لخشوعهـم صدروا عـن الحشـر

---

(٧٥) نفسه ، م ١٦٦/ ص ٨٩-٩٠ .

فهم كأن بهم جوى مرض أو مسهم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهم فيه غواشي النوم بالسكر
إلا كذا خلسا وآونة حذر العقاب فهم على ذعر(٧٦)

وقال الحارث بن كعب الشني في رثائه لعون بن أحمر وقد قتل مع ابن الازرق :

أيهات ، قد أبلى عظامي وشفها وأسهر ليلي ذكر عون ابن أحمر
فتى كان لا يخشى سوى الله وحده ويطمع في معروفه كل مقتر
يجاهد في الله ابن أحمر صادقا اذا ما ارتضى بالجور كل مقصر(٧٧)

وقال فروة بن نوفل يذكر قومه وقد قتلوا مؤكدا حسن تدينهم اذ أن أجسادهم نحيلة براها الصوم ، وكأنها سيوف منجردة :

هم نصبوا الاجساد للنبل والقنا فلم يبق منها اليوم الا رميمها
تظل عتاق الطير تحجل حولهم يعللن أجسادا قليلا نعيمها
لطافاً براها الصوم حتى كأنها سيوف اذا ما الخيل تدمى كلومها(٧٨)

ان أشد ما يميز الخوارج تقواهم ، وخوفهم من الله ، وطاعتهم له. قال الأصم الضبي :

قوماً اذا ذكّروا بالله أو ذكروا خروا من الخوف للأذقان والرُّكب
ساروا الى الله حتى أُنزلوا غرفاً من الأرائك في بيت من الذهب (٧٩)

من الامور الواضحة في شعر الخوارج تأثرهم الكبير بالقرآن من حيث التعاليم ، أو من حيث الالفاظ والمعاني أو من حيث الصياغة والاسلوب ، ولا غرابة في ذلك فهم حزب ديني استقى مفاهيمه من القرآن الكريم ، وكان

---

(٧٦) نفسه ، م ١٦٥/ ص ٨٤ .
(٧٧) نفسه ، م٦٧/ ص ٣٥ .
(٧٨) نفسه ، م٥/ ص٦ .
(٧٩) نفسه ، م ١٠٨ / ص ٥٦ .

كثير منهم من القراء، ، مما أهّلهم لحفظ القرآن والعمل به ، فجاء ثمرة ذلك كله تأثرا واضحا به حتى لنجد كثيرا من شعرهم تضمينا لآيات القرآن الكريم واستشهادا بها .

والخارجي لايفخر باتتمائه الى قبيلة او الى نسب شريف ، بل يفتخر باتتسابه الى الاسلام وحده فهو أبوه حيث لا أب له سواه ، ولا نسب له بعده ، والتقي عندهم هو الذي ينسب الى هذا الدين العظيم الشريف لا من ينسب الى قبيلة شريفة، ولاشك في أن هذا نهج جديد أو اختلاف كبير في الاعتداد بالقيم الانسانية والفخر بها مجسدين قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(٨٠) . فميزان التفاضل بين بني البشر هو التقوى لا الحسب والنسب . قال عيسى بن عاتك الخطي :

أبي الإسلام لا أب لي سواهُ اذا فخروا بيكر اوتميم
كلا الحيين ينصر مُدّعيه ليلحقه بذي الحسب الصميم
وما حسب ولو كرمت عروق ولكن التقي هو الكريم(٨١)

كذلك كان الخارجي يفخر بخارجيته كثيرا ويعتز باتتمائه الى هذا الحزب الديني ، وهذا نابع من ولائه لافراد حزبه ؛ لذا هو ينطق بلسانهم ، ويصف أخلاقهم ، وافعالهم ، ويمدحهم ، وان ماتوا يرثيهم كما في قول عبيدة بن هلال اليشكري :

أنا ابن خير قومه هلال شيخ على دين أبي بلال
وذاك ديني آخر الليالي(٨٢)

لقد تلاشت عقيدة الخارجي القبلية في عقيدته المذهبية فأحال الفخر الى فن ديني حزبي ، فكان الشاعر منهم يفخر بخارجيته من حيث اتتماؤه

(٨٠) سورة الحجرات ، آية ١٣.
(٨١) شعر الخوارج ، م٢١ / ص ١٣ .
(٨٢) المصدر السابق ، م١٠١/ص٥٣ .

الى هذا الحزب ، ومن حيث صفات الخارجي وقيمه التي كانت تميزه في كثير من الاحيان عن قيم الاحزاب السياسية الاخرى ، فانتماؤه الى الاسلام حسب، لا الى قبيلة ماجدة ، ولا الى جنس عريق ، دستوره القرآن يعمل على وفق منهجه ، وشعره ثمرة لفهمه هذا ، وانعكاس لقيمه الفريدة التي رآها كثير منهم خدمة لإنسانيته ، ووجوده في ظل الحكم الجائر ، الخارج عن الحق ؛ لذا جاء شعرهم انعكاسا لنهجهم السياسي خاصة وان كثيرا منهم كانوا من الزعماء البارزين للحزب ، ولم يكونوا متبرعين أو مأجورين للترويج له أو الدفاع عنه ، فجاء شعرهم معبرا تعبيرا صادقا عن عقيدتهم التي قدموا في سبيلها كل غال ورخيص •

الزهد

زهد الخارجي في الحياة الدنيا كثيرا ، بل كرهها وتمنى الخلاص منها • ولم يكن هذا من فراغ ، بل هو من صلب فلسفة الخارجي الذي اعتقد ان الدنيا غرور ،مملوءة شرورا ، وبالتالي فلا تستحق منه أي اهتمام ، ولاتستحق أن يضحي بالآخرة من اجلها ، وقد رأى الخارجي أن الزهد في الدنيا يسهل عليه الخروج لمحاربة الطغاة ؛ لذا ربما كانت كثرة حديثه عن عدم جدوى التمسك بالدنيا محاولة منه لاقناع نفسه والاخرين من الخوارج بأنه لا شيء يستحق أن يوقفه عن الجهاد في هذه الحياة • قال عمران بن حطان :

وليس لعيشنا هذا مهاة ... وليست دارنا هاتا بدار
جماد لايراد الرسل منها ... ولم يجعل لها درج الظئار
وإن قلنا لعل بها قرارا ... فما فيها لحي من قرار
لنا إلا ليالي هيّنات ... وبلغتنا بأيام قصار
أرانا لا نمل العيش فيها ... وأولِعنا بحرص وانتظار
ولا تبقى ولا نبقى عليها ... ولا في الامر نأخذ بالخيار
وما اموالنا إلا عوارٍ ... سيأخذها المعير من المعار

ولكن العداة بنو سبيل على شرف ييسر لانحدار
كركب نازلين على طريق حثيث ، رائح منهم وساري
وعاد إثرهم طربا اليهم حثيث السير مؤتنف النهار(٨٣)

وعمران بن حطان من الخوارج الذين نازعهم حب الدنيا اذ كانت تنتابه رغبات في الحياة الدنيا والتمسك بها ، بل كان في صراع بين الدنيا والآخرة ، وبين القعود والخروج ، قال منتقدا الذين لايسأمون من الدنيا ، ولعله قصد نفسه :

أرى اشقياء الناس لا يسأمونها على انهم فيها عراة وجوع
أراها وان كانت تحب فانها سحابة صيف عن قليل تقشع(٨٤)

لذا كان كثير المقارنة بين الدنيا والآخرة من حيث نعيم كل منهما ، ولقد أبان عن كره نفسه للموت في مناسبات كثيرة ، ولكن رحيل اصدقائه واحبائه كان يدفعه للخروج ثأرا لهم ، وزهدا بالحياة بعدهم ، كما في قوله في رثاء أحد أمراء الخوارج مخاطبا زوجته جمرة . قال :

إن كنت كارهة للموت فارتحلي ثم اطلبي اهل ارض لا يموتونا
فلست واجدة أرضا بها بشر ألا يروحون افواجا ويغدونا (٨٥)

ولعل جمرة هذه هي نفس الشاعر لا زوجته وابنة عمه جمرة الخارجية، التي دفعته للخروج وأصرت عليه في ذلك ، وهي نفس تفهم حقيقة الانسان ورغبته في حب البقاء ، فهي أخص غرائز الانسان(٨٦) .

ولعل رغبته في البقاء للتمتع بالدنيا وعدم الخروج يبدو ظاهرا في قوله:

اذا ما تذكرتُ الحياة وطيبها اليّ جرى دمع من العين غاسق(٨٧)

---

(٨٣) نفسه ، م ٣١/ ص ١٨ .
(٨٤) نفسه ، م ٣٠/ ص١٧ .
(٨٥) نفسه ، م ٢٧/ ص ١٦ .
(٨٦) الانسان والزمان في الشعر الجاهلي ، ص٢١ .
(٨٧) شعر الخوارج ، م ٣٩ / ص ٢١ .

لقد كان عمران بن حطان في صراع بين الخروج والقعود ، فهو من من جهة مؤمن بمبدأ الخوارج يرى رأيهم في ضرورة محاربة الظلم والطغيان، وله أسوة في أصحابه الذين ساروا على هذا الدرب لاسيما بلال بن مرادس الذي اتخذه إماما ومثلا أعلى ، فيدفعه هذا للخروج ، ولكن حب الدنيا يشده الى القعود والتمسك بالحياة . فأثر صراعه هذا في فكره وشعره ، اذ تلمح عنده خطرات فلسفية ممزوجة بالحزن والدموع ، وربما كانت له أسباب للقعود فقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني انه كان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه(٨٨) ، وإلا كيف سيقبل منه تحريضه الاخرين على الخروج في حين كان هو قاعدا بلا سبب موجب ؟! ولا اعتقد ان حبه لبنت عمه جمرة الخارجية هو الذي دفعه الى القعود كما يقول الدكتور نعمان القاضي ؛ لانها كانت السبب في خروجه(٨٩) .

لقد جمع الخارجي بين رغبة التقوى والزهد كما في قول قطري بن الفجاءة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حتى متى تخطئني الشهادة والموت في أعناقنا قلاده
ليس القرار في الوغى بعاده يا رب زدني في التقى عباده
وفي الحياة بعدها زهاده(٩٠)

لقد زهد الخارجي ، في الحياة بعد ما رآه في الدنيا من ظلم الحكام ، وسياسة التجويع والكذب والنفاق الى غير ذلك من الشرور الاجتماعية، فإحساس الانسان بأن الدنيا دار شقاء لا محال راحل عنها ، وهو فيها ليس

---

(٨٨) انظر الاغاني ج١٨ ، ص ١٠٩ .
(٨٩) الفرق الاسلامية في العصر الاموي ، ص ٦٤١.
(٩٠) نفسه ، م٨٨ / ص ٤٦-٤٧ .

سقط متاع يشرد ويطرد ويقتل من قبل فئة يراها طاغية ظالمة يـزيده زهدا في الدنيا ، وتمسكا بالآخرة كما في قول معاذ بن جوين :

ألا أيها الشـارون قد حان لامرىء ... شـرى نفسه لله أن يترحـلا
أقمتـم بـدار الخاطئـين جهـالة ... وكل امرىء منكـم يصاد ليقتـلا
فشدوا على القـوم العُداة فانمـا ... إقامتكم للذبـح رأيـا مضلـلا
إلا فاقصدوا يا قـوم للغاية التـي ... اذا ذُكـرت كانت أبـر وأعـدلا
فيا ليتني فيكم على ظهـر سـابح ... شديد القصيرى ، دارعا غير أعزلا
ويا ليتني فيكـم أعـادي عدوكم ... فيسقينـي كأس المنيـة أولا
يعز عليّ أن تخافـوا وتُطـردوا ... ولما أجـرر في المحلين مُنصـلا[٩١]

وكذلك قول قطري بن الفجاءة :

وما للمـرء خـير في حيـاة ... اذا مـا عـد من سقط المتـاع[٩٢]

ولما كان الزهد في متاع الدنيا من قيم الخوارج الهامة ، فاننا نراهم يمدحون به كما في قول زياد بن الاعسم في رثائه داود بـن النعمان العبدي الخـارجي • قـال :

فان يـكُ داود مضـى لسبيلـه ... فقد كان ذا شـوق الى الله تاليـا
وقد كان ذا أهـل ومـال وغبطـة ... وكان لمّا يفنى من العيش قاليا[٩٣]

ولكن لم يكن الخوارج كلهم على درجة واحدة من الزهـد في الحياة، والرغبة في الموت اذ كان لدى بعضهـم أسبـاب تجعلهم يحبون الحيـاة ، ويتمسكون بها كما هو حال عيسى بن عاتك الخطي ، وذلك لتعلق بناته به عند الخروج • قـال :

لقـد زاد الحيـاة اليّ حبـاً ... بناتـي انهـن مـن الضعـاف
مخافـة أن يريـن البـؤس بعدي ... وان يشـربن رنقـاً بعـد صـاف

---

(٩١) نفسه ، م ١١/ ٨-٩ وانظر كذلك ، م ١٦٧/ص ٤٣ .
(٩٢) نفسه ، م ٨٢ / ص ٤٣ .
(٩٣) نفسه ، م ١٢٥ / ص ٦٦.

وأن يعـرين إن كُسي الجـواري فتبنو العـين عـن كـرم عجـاف
وأن يضطرهـن الدهـر بعـدي الـى جلـف من الأعمـام جـاف
فلـولا ذاك قد سومـت مهـري وفي الرحمـن للضعفـاء كـاف
تقول بنيَّتـي أوصـ الموالي أبانا وكيف وصـاةُ من هو عنك جاف
مـن لنـا إن غبـت عنـا وصار الحي بعدك في اختلاف (٩٤)

ومن شعراء الخوارج الذين قالوا في الزهد أيضا الطرماح اذ قال :

عجباً ما عجبت من جامع المـا ل يبـاهي بـه ، ويرتفـده
ويضيـع الـذي يُصيره اللـ ـه اليه ، فليـس يعتقـده
يـوم لاينفـع المخـول ذا الثر وة خلاُنـةٌ ولا ولـده
ثم يؤتى به ، وخصمـاه ، وسط الـ جن والإنس ، رجلـه ويـده
خاشع الطرف ، ليـس ينفعـه ثـ ـم أمانيـه ، ولا لـدَدُه (٩٥)

لقد اختلف الطرماح عن كثير من شعراء الخوارج ، فقد عاش حياته مثل غيره من الناس حياة طبيعية اذ لم ير الخروج ولم يدع له ، كما انه كان معجبا بنفسه وبقومه كثير الفخر بها وبهم ، وهذا ما لم نجده عند غيره من الخوارج الذين جعلوا الفخر في الدين والانتماء الى الحزب الخارجي حسب ، فضلا عن أنه طلب الدنيا بكل ما فيها فمدح واشتكى ، وتغزل .. ، ويبدو أن عقيدة الخوارج لم تتمكن منه كما تمكنت من غيره من الخوارج ، بل ان الهم الخارجي كان هامشيا في حياته مع ايمانه به ، وله شعر يتمنى الخروج كما تمنى أن يموت قطعا تحت مقارعة السيوف ، وضرب الرماح ، كما أنه كان يمدح الخوارج بالشجاعة والتقوى الا انه لم يكن متشددا

---

(٩٤) نفسه ، م ٢٢ / ص ١٢-١٤ .
(٩٥) الطرماح ، ديوان الطرماح بن حكيم ، تحقيق عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٩ وما بعدها .

في ايمانه ولا في سلوكه ، بل افترق عن الخوارج بحبه للمال والدنيا رغم شعره السابق في الزهد ، وكذلك اختلف عنهم بالفخر بنسبه وقبيلته[٩٦] .

التعاون :

التعاون من القيم العربية الاصيلة التي اعتز بها العربي وافتخر لاسيما في مجال التعاملات المالية . ومع أن الخوارج لم يركزوا على قيمة الكرم كثيرا لعدم تفرغهم لمواطن الجود والعطاء ؛ لانهم حملة سلاح ، ورجال حرب قضوا أعمارهم القصيرة في أغلب الاحيان في ساحات الوغى ، زاهدين في الحياة الدنيا وممتلكاتها ومفاخرها الا ان بعض شعرائهم لم يفوّت فرصة التنويه بهذه القيمة عندهم ،فهي تعكس تدينهم وتطبيقهم لأمور الشريعة من التعاطف والتراحم فيما بينهم كما في قول عمرو بن الحسن الاباضي موضحا ان الغني فيهم يساعد الفقير في حين ان الفقير يمتاز بالعفة والتجمل . قال :

في فتية شرطوا نفوسهم ... للشرفية والقنا السمر
متراحمين : ذوو يسارهم ... يتعطفون على ذوي الفقر
وذوو خصاصتهم كأنهم ... من صدق عفتهم ذوو وفر
متجملين بطيب خيمهم ... لا يبلعون لنبوة الدهر
فكذاك مثريهم ومقترهم ... أكرم بمقترهم وبالمثري[٩٧]

وعفتهم تكون عند العسر واليسر . قال عمر بن الحصين العنبري :

أوفى بذمتهم اذا عقدوا ... وأعفّ عند العسر واليسر[٩٨]

وكذلك قول أيوب بن خولى يصف أخلاقهم بما فيها الكرم :

فإن يك خلي هدية اليوم قد مضى ... فاني بآلاء الفتى أنا نادبه
فيا هدب للهيجا ويا هدب للندى ... ويا هدب للخصم الالد يحاربه[٩٩]

---

(٩٦) انظر المصدر السابق ، ص ١٦٥ وكذلك ص ٢٠١ وما بعدها وص ٢١٥.
(٩٧) شعر الخوارج ، م ١٦٤/ ص ٨٣.
(٩٨) المصدر السابق ، م ١٦٥/ ص ٨٥ .
(٩٩) نفسه ، م١٣٥/ص ٧١ .

وقد أبان بلال بن مرداس عن معنى الاخوة والحب في العقيدة من خلال اظهار الود لأخيه الخارجي ، والمشاركة المادية بينهما • قال :

من كان من أهل هذا الدين كان له ودّي وشاركته في تالد المال[١٠٠]

والخارجي عفيف النفس ، يترفع عن الدنايا جميعها ؛ لان هدفه في الحياة أسمى من كل امر مادي ودنيوي ، وهذه لعمري قيم تناسب فكر الخوارج وفلسفتهم الخاصة في أمر الدنيا • قال يزيد بن حبناء يفخر بأخلاقه أمام زوجته وقد عيّرته بالشيب :

أعوذ بالله من أمر يزين لي لوم العشيرة أو يدني من العار
وخير دنيا ينسي شر آخرةٍ وسوف ينبئني الجبار أخباري
لا أقرب البيت أحبو من مؤخره ولا أكر في ابن العم أظفاري
أن يحجب الله أبصاراً أراقبها فقد يرى الله حال المدلج الساري[١٠١]

الحلم

من قيم الخوارج الهامة الحلم الذي يحتاج من صاحبه سعة الصدر ، ووضوح الرأي والفهم الثاقب الذي ينم عن ذكاء وطول تفكر في أمور الدنيا، ومن ثم اتخاذ الرأي الصائب • قال الجعد بن ضبام الذهلي في رثائه لصالح بن مسرح :

وقد كان ذا رأي مبين ورأفة صفوحا عن العوراء يدفعها عُمدا[١٠٢]

والخارجي طلق اللسان يقول الحق ، يرئب الصدع ، مصلح لذات البين عفيف الهوى ومتثبت في كل أفعاله وأقواله كما في قول عمر بن الحصين :

طلق اللسان بكل محكمة رأب صدع العظم ذي الكسر

---

(١٠٠) نفسه ، م١٤ / ص ١٠ .
(١٠١) نفسه ، م ٧١/ ص ٣٨ .
(١٠٢) نفسه ، م١١٩ / ص ٦٢ .

قـوال محكمـة وذو فهـم عفّ الهـوى متثبـت الامر [١٠٣]

ومن صفاتهم المنطق الحسن وهو انعكاس للذكاء انجم والفهم الحاذق. قال سلامة بن عامر القشيدي في رثائه للخطار النميري :

يذكّرني الخطـار كـل منطـق يجول بـه عنـد اللقا حضنان[١٠٤]

وقال عبيدةبن هلال اليشكري :

أدبـاء أمـا جئتهـم خطبـاء ضمنـاء كـل كتيبـة جـرار[١٠٥]

وهو كذلك يسبر غور الامور كما في قول عمر بن الحصين أيضا :

سبـرٍ لجائفـة الامور أطبّـة للصدع ذي النبأ الجليل مرائب[١٠٦]

الـوفاء والانصـاف

ومن قيم الخوارج الوفاء للآخرين ممن لهم يد بيضاء عليهم ، فهم يعرفون حق اليد التي أصابتهم بمعروف أو دفعت عنهم الاذى ، ويحفظون الجميل لأصحابه حتى لو كانوا من الاعداء أو الحكام الذين كانوا يرونهم طغاة ويخاصمونهم ألد خصام ، فقد قال عمران بن حطان السدوسي بعد ما أطلقه الحجاج :

أأقـاتل الحجـاج عـن سلطانـه بيـدٍ تقـر بأنهـا مولاتـه
اني إذن لأخـو الدنـاءة والـذي عفّـت علـى عرفـانه جهـلاته
ماذا أقـول اذا وقفت موازيـا في الصـف واحتجت لـه فعـلاته
وتحـدث الأكفاء أن صنائعـا غُرست لـدي فحنظلـت نخلاته
أأقـول جـار علـيّ انـي فيكم لأحـق من جـارت عليـه ولاتـه
تالله مـا كـدت الأمـير بـآلة وجوارحـي وسلاحها آلاتـه[١٠٧]

---

(١٠٣) نفسه ، م١٦٥/ ص ٨٦-٨٧ .
(١٠٤) نفسه ، م ١٠٣ / ص ٦٨ .
(١٠٥) نفسه ، م ٩٨ / ص ٥٢ .
(١٠٦) نفسه ، م ١٦٦ / ص ٩٠ .
(١٠٧) نفسه ، م ٥٨ / ص ٣١ .

وكما كانوا أوفياء لخصومهم ، فانهم كانوا ينصفونهم ، والانصاف أحد القيم الخلقية الهامة التي تصدر عن نفس انسانية شفافة ، وبطولة نفسية حقة . فقد قال قطري بن الفجاءة في المغيرة بن الملهب شعرا مدحه فيه، فلما سمعه الخوارج ، قالوا له : لأشد ما مدحت الرجل يا امير المؤمنين . فقال : ما أثنيت عليه بشيء في دينه ، ولكني أذكر ما فيه . ومن شعره هذا قوله :

لعمري لئن كان المزوني فارسا ... لقد لقي القرم المزوني فارسا
تناولته بالسيف ، والخيل دونه ... فبادرني بالجرز ضربا مخالسا
فوليت عنه خوف عودة جرزه ... وولى كما وليتُ يخشى الدهارسا
كلانا ، يقول الناس ، فارس جمعه ... صبرت فلم أحبس ولم يك حابسا
فدونكها يا ابن الملهب ضربة ... جدعت (بها) من شانئيك المعاطسا
وأقسم لو أني عرفتك ما نجا ... بك المهر أو تجلو علينا العوابسا
فتعلم إذ لاقيتيني أن شدتي ... تخاف ، فسل عني الرجا الأكايسا
يقولوا بلا منه المغيرة ضربة ... فأصبحت منها للغضاضة لابسا
فقلت بلى ما من اذا قيل من له ... تسم له لم أغضض الطرف ناكسا
فتى لايزال ، الدهر ، سُنَّة رمحه ... اذا قيل هل من فارس، أن يداعسا(١٠٨)

وهذه القصيدة تندرج تحت ما يسميه العرب « المنصفات » ، وقد عرف الادب العربي مجموعة من القصائد التي حملت هذا الشكل الانساني الأخلاقي المتميز ، وأطلق عليها «منصفات أشعار العرب» ، والخوارج كانوا امتدادا في بعض قيمهم لما عرف عند العرب من الوفاء والانصاف للاصدقاء وللاعداء على السواء ؛ لان الابطال ومن موقع القوة ينصفون خصومهم ويعترفون لهم بالبلاء في الحرب والقدرة على خوض المعارك الحامية الوطيس،

(١٠٨) نفسه ، م ٩٢/ ص ٤٩ .

ولأن البطولة الحربية كانت تقترن بالبطولة الخلقية عند هؤلاء الابطال في كثير من الاحيان[١٠٩] .

وهكذا يصور لنا شعر الخوارج طبيعة حياة الخارجي ، كيف كانت، وما فيها من طموحات وبطولات خارقة ، كما رسم لنا مجموعة القيم التي سادت حياتهم ، وانتشرت بين مقاتليهم ، والتي كانت في أغلبها قيماً مستمدة من الشريعة الاسلامية معينة على أساس منها ، كما كان بعضها قيماً ورثها العربي عن آبائه لاسيما في المجتمعات البدوية ، فكانت امتدادا للقيم العربية الاصيلة التي توارثها الانسان جيلا بعد جيل كالشجاعة والكرم والتعاون والعفة ، وبعضها قيم اختص بها الخوارج دون غيرهم ؛ لانها خاصة بحزب سياسي له تقاليده واسلوبه ، ورأيه في شؤون الحياة ، ومن ثم قيمه التي كانت تقوم على الفروسية ومحاربة الظلم والطغيان لا يأملون من ذلك سوى رضى الله سبحانه وتعالى ، والفوز بالجنة ، وهم ان بالغوا في بعض المواقف ، فلعلهم لم يكونوا الوحيدين ؛ لان الحروب كثرت في هذا العصر ، وكثر فيها القتل والصلب والتمثيل . فطبيعة العصر ، والبيئات التي كان يأتون منها لاسيما البدوية، وفهمهم لبعض مناحي الدين ربما كان وراء مغالاة بعضهم في القتل واستعراض الناس ، ولولا هذه المبالغات ، وما كان لديهم من تطرف في بعض الاحيان لكانوا أكثر اقناعا للناس ، فقد كان الحزب الخارجي أقرب الاحزاب السياسية في العصر الاموي الى روح الاسلام ، ومن أشدها تأثرا به ، والتزاما بمبادئه من نبذ الدنيا ، والتمسك بالآخرة ، ورفض تهافت الناس من شعراء وغير شعراء على أبواب الملوك يتملقونهم من أجل حفنة من الدراهم ، وكثير منهم يعلم علم اليقين بأنهم

---

(١٠٩) القيسي (نوري حمودي القيسي) ، البطل في التراث ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨ ، ص ٤٢ .

لايقولون الحقيقة ، ويخالفون أبسط قواعد الشرع من ضرورة الصدق ، والوقوق في وجه الباطل ، وعدم المساومة في حقوق الاخرين ، وتوزيع موارد بيت المال في وجوهها الحقيقية ، وعدم التهافت في اللذات، وضرورة تطبيق شرع الله في جميع مناحي الحياة بدءا من الخلافة وانتهاء بالمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات الامر الذي لم يرض الخوارج ، فتصدوا له بنحورهم وهاماتهم مقدمينها رخيصة في سبيل مبدئهم الذي ثبتوا عليه طيلة حياتهم فامتزجت دماؤهم الغزيرة بقيمتهم العالية الى ان انتهى أمرهم في الخلافة العباسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكر : اشكر مجلس البحث العلمي في جامعة اليرموك ، أربد ـ الاردن ، على المساهمة في دعم نشر هذا البحث .

المصـــادر والمراجـــع

١ ــ القــرآن الكريم .

٢ ــ ابراهيم (زكريا ابراهيم) ، مشكلــة الانسـان ، مكتبــة مصــر للطباعــة والنشر ، القاهرة ، د.ت.

٣ ــ ابراهيم (زكريا ابراهيم) ، المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٤ ــ أنيس (ابراهيم أنيس) وزملائه ، المعجم الوسيط ، دار الفكر ، مصر ، د.ت.

٥ ــ البستاني (بطرس البستاني) ، قطر المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٨٦٩ .

٦ ــ بدوي (عبدالرحمن بدوي) ، الاخلاق النظرية ، وكــالة المطبوعــات ، ط١ ، ١٩٧٥ .

٧ ــ بيومي (محمد أحمد بيومي) ، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندريــة ، ١٩٨٩ .

٨ ــ جفــال (علي جفال) ، الخوارج تاريخهم وادبهم ، دار الكتب العلميــة ، بــيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .

٩ ــ حسين (عبدالرزاق حسين) ، شعر الخوارج ، دار البشير ، عمــان ، ط١ ، ١٩٨٦ .

١٠ ــ الحوفي (احمد محمد الحوفي) ادب السياسة في العصر الامــوي دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط٥ ١٩٧٩ .

١١ــ الحوفي (أحمد محمد الحوفي) ، البطولة والابطال ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلاميــة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

١٢ ــ زقزوق (محمود حمدي زقزوق) ، مقدمة في علم الاخــلاق ، دار القلــم ، الكويــت ، ١٩٨٠ .

١٣ــ السقا (أحمد حجازي السقا) ، الخوارج الحروريون ، مكتبة الكليــات الازهرية ، ١٩٨٠ .

١٤ــ الشايب (أحمد الشايب) ، تاريخ الشعر السياسي ، مكتبــة النهضــة المصرية ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٧٦ .

١٥ ــ الطبري (محمد بن جرير الطبري) ، تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ .

١٦ــ الطرماح ، ديوان الطرماح ، تحقيق عزة حسن ، دار الشرق العــربي ، بــيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤ .

١٧ــ العوا (عادل العوا) ، دراسات أخلاقية ، المطبعة الجديدة ، دمشق، ١٩٨٢ .

١٨ــ العوا (عادل العوا) ، العمدة في فلسفة القيم ، دار طــلاس للدراســات والترجمة والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٦ .

١٩ـ الغزالي (ابو حامد الغزالي) ، تهذيب إحياء علوم الدين ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ .

٢٠ـ فلهوزن (يوليوس فلهوزن) ، الخوارج والشيعة ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ط٣ ، ١٩٧٨ .

٢١ـ القاضي (النعمان القاضي) ، الفرق الاسلامية في الشعر الاموي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٢٢ـ قطب (محمد قطب) ، دراسات في النفس الانسانية ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨١ .

٢٣ـ قنصوة (صلاح قنصوة) ، نظرية القيم في الفكر المعاصر ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، د.ت.

٢٤ـ القيسي (نوري حمودي القيسي) ، البطل في التراث ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٨ .

٢٥ـ القيسي (نوري حمودي القيسي) ، الفروسية في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٢٦ـ كومبز (يوسف كومبز) ، القيمة والحرية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٥ .

٢٧ـ الماوردي (علي بن محمد الماوردي) ، أدب الدين والدنيا ، شرح وتعليق محمد كريم راجح ، دار قراء ، بيروت ، ١٩٨٦ .

٢٨ـ المبرد (الامام أبي العباس المبرد) ، أخبار الخوارج من كتاب الكامل في اللغة والادب والنحو والتصريف ، دار الفكر ، د.ت.

٢٩ـ النجار (عامر النجار) ، الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة ، مكتبة القدسي ، د.م، ط١ ، ١٩٨٦.

٣٠ـ يوسف (حسني عبدالجليل يوسف) ، الانسان والزمان في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com